العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"الصدق الفني في رثاء الاعلام عند احمد شوقي"

الباحث الباحث:

عبد العزيز المطيري

معد برامج في وزارة الإعلام الكويتية

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الملخص:

أمير الشعراء وهو الشاعر احمد شوقي الذي يعتبر احد اعمدة الشعر العربي على مر العصور، ورثاء الشعر العربي موضوع يستحق الدراسة لما فيه من صدق مشاعر خاصة ، فقد تناول احمد شوقي في عصره، الكثير من الموضوعات والصور الشعرية، وقد اهتم الكتاب والنقاد كثيرا بشعره، وتتبع أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول صورة من أهم الصور في شعر شوقي، ويهدف هذا البحث الى التعرف على الرثاء في شعر شوقي ورثاء الاعلام والصدق الفني رثاء الاعلام بالاضافة الى موضوعات شعر احمد شوقي ونبذه عن حياته، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد ظهر الصدق الفني من خلال حس الشاعر الديني في قصيدة الحج حيث دعت هذه التجربة القدسية الشاعر للوقوف أمام مسؤولية ادبية ورسالة يعبر عنها، أما اللغة في شعر أحمد شوقي فقد وصفت بأنها كالقصور المشيدة فقد برع شاعرنا في التصوير والخيال الواسع، اما اسلوب أحمد شوقي فقد اختلف عن شعراء أبناء جيلة حيث آثر العاطفة الهادئة الخاضعة لسيطرة الشاعر والتعبير عن الانفعالات الجياشة، وتعتبر موسيقى أحمد شوقي ساحرة تتناسب مع المواقف والمشاهد التي يصفها، وتتدفق الصور الفنية وتنبثق في شعر احمد شوقي من بؤرة واحدة وترتبط بصلة المنبع، اما التشبيه في شعر احمد شوقي اعتمده لعدة أغراض من اهمها حبه لوطنه والاقناع بهذا الحب ليغري به غيره، واعتمد الاستعارة كركن أساسي في خلق الصور.

مقدمة البحث:

لا شك ان الشاعر احمد شوقي يعتبر احد اعمدة الشعر العربي على مر العصور، ويستحق ما أُطلق عليه من لقب (أمير الشعراء) وعند تناولنا لشعر شوقي نجد أنه كان موهوبا بطبعه منذ صغره، وقد بدأت تتفتح مواهبه قبل تخرجه من التجهيزية، فنظم قصيدته التعليمية في افريقيا، وهي لا تخلو من بعض الأخطاء العروضية ولكنها تحمل في طياتها خيالا واعدا.

لقد امتاز شوقي بشاعرية خارقة، اذ كان الالهام يفيض عليه دائما بالجديد من الشعر، ومن اهم ما امتازت به شاعريته صياغته البارعة التي جمعت بين الجزالة والرصانة من جانب، والسلاسة والعذوبة من جانب آخر، مع الأداء الموسيقي المتميز، اذ استطاع ان يستخرج من قيثارة الشعر العربي أرصن وأرق ما تحمل في باطنها من أنغام والحان، كل ذلك يسنده خياله الخصب الذي استطاع ان يستغله في صناعة لوحاته الشعرية البديعة في وصف الطبيعة وحين يتحدث عن أمجاد وطنه السالفة وأمجاد العرب ودولهم الغابرة، وله في ذلك تشبيهات واستعارات مبتكرة.

وقد خاض شوقي مع هذه الموهبة القوية غمار الشعر العربي بمختلف موضوعاته وأنواعه، فكتب في الشعر الغنائي وأبدع فيه، وكتب في الشعر القصصي المتمثل في شعره الرمزي على لسان الحيوان، وأجاد ايضا في شعره التاريخي .

عرف العرب الرثاء منذ العصر الجاهلي ، إذ كان النساء والرجال جميعاً يندبون الموتى ، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبنين لهم مُثْنين على خصالهم وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت وأن ذلك مصير محتوم .

ولقد كان نقاد العرب القدامى يرون في الرثاء باباً من أبواب المديح ؛ باعتبار أن الراثي يعدّد مناقب الميت التي تدعو الإنسان إلى البكاء عليه ، لأنه بفقده للميت يكون قد فقد تلك المناقب والحسنات، وفي بحثنا هذا سنلقي الضوء على الصدق الفني في رثاء الاعلام عند احمد شوقي.

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

مبررات البحث:

الرثاء في الشعر العربي, موضوع يستحق الدراسة, وفيه من التشويق إلى البحث فيه الكثير ,لحيث العاطفة وصدق المشاعر وهذا ما دعاني لاختياره, من بين البحوث الاخرى, وهو من المواضيع الذي لم يُستقل له كتاب مخصص ولكنه منتشر بين طيات كتب الأدب العربي الكثيرة, والدواوين، والتي يحتاج الباحث إلى المكافحة والصبر في نسلها من بين الأسطر وتمييزها في طيات البحث الخاص بها، ونظرا لما يتمتع به شعر شوقي من أهمية كبيرة في الأدب العربي. فقد اخترت بحثي هذا لأن اجمل ما تناوله شوقي في شعره ألا وهو الرثاء وبالتحديد رثاء الاعلام.

اهمية البحث:

لقد تناول احمد شوقي في عصره، الكثير من الموضوعات والصور الشعرية، وقد اهتم الكتاب والنقاد كثيرا بشعره، وتتبع أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول صورة من أهم الصور في شعر شوقي، وهي الصدق الفني في الرثاء لدى شاعرنا، فقد ذُكر الرثاء في مواطن عديدة من شعر شوقي، وهنا نحاول الاطلاع وتحليل الصدق الفني في رثاء الاعلام عند شوقي .

أهداف البحث:

أهدف من وراء بحثي هذا أن أقدم للقارئ والباحث لمحة عن شعر شوقي، كما أهدف إلى التعرف إلى الرثاء في شعر شوقي وصدقه الفني، وأوجز ملخص أهداف هذا البحث في ما يلي:

1. التعرف إلى موضوعات شعر احمد شوقي ونبذة عن حياته.
2. التعرف إلى الرثاء في شعر شوقي.
3. التعرف إلى رثاء الاعلام في شعر شوقي.
4. التعرف إلى الصدق الفني في رثاء الاعلام.

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يرتكز على البحث عن المادة المكتوبة في الكتب والمراجع والمصادر، واللجوء إلى الكتب التي تحدثت عن الرثاء في الشعر، وبالتحديد في شعر شوقي، ودراسة المؤلفات التي تحدثت عن شعر شوقي وموضوعاته، وبخاصة الشعر الذي اهتم بالرثاء (رثاء الاعلام)، وذلك في محاولة لإلقاء الضوء على الصدق الفني في رثاء الاعلام عند احمد شوقي.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: حياة احمد شوقي ونشأته.

المبحث الثاني: رثاء الأعلام السياسيين عند احمد شوقي

المبحث الثالث: الصدق الفني في رثاء الاعلام في شعر شوقي

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المبحث الأول

حياه احمد شوقي ونشأته

هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أمير الشعراء وأشهرهم في العصر الحديث، ولد أحمد شوقي في 16 أكتوبر سنة 1870 ، حيث كانت مصر إبان تلك الفترة في حكم إسماعيل تسعى إلى يقظة شاملة، غير أن الدكتور محمد صبري يرى أنه من مواليد عام،(1868)مستندًا في ذلك إلى كتيب أصدره أحمد عبد الوهاب أبو العز، سكرتير شوقي الخاص2) لكنّ وادي يعتمد على ما وثق في شهادات شوقي العلمية، ولا سيما ما جاء في شهادة الليسانس التي نالها في باريس في الحقوق. انحدر شوقي من أسرة اختلطت دماؤها بأصول أربعة :الكردية، واليونانية، والتركية والعربية، فجده لأبيه يرجع إلى أصول كردية" سمعت أبي_ رحمه الله _يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ويقول :إن والده قدم هذه الديار يافعًا يحمل وصاة من أحمد باشا، وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطًا وإنشاء فأدخله الوالي في معيته" أما جدّه لأمّه فينحدر من أصول تركية، واسمه أحمد بك حليم، أما جدته لأمه فكانت جارية يونانية، اقتيدت كأسيرة حرب أو جارية، يقول شوقي" :أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حليم ويعرف بالنجدي نسبة إلى نجدة إحدى قرى الأناضول، وقدم هذه البلاد فتيًا، فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا في أول يوم، ثم زوجه بمعتوقته جدتي والتي أرثيها في هذه المجموعة، وأصلها من مورة جلبت منها أسيرة حرب لا شراء([1])

تعليم احمد شوقي

درس شوقي على أستاذه محمد البسيوني البيتاني، الأستاذ بالأزهر، وقد كان الأخير ينظم قصائد في مدح الخديوي، وكان تلميذه شوقي قد بدأ ينظم بواكير الشعر، إذ راح يطلع على هذه القصائد، ويقوم بتهذيبها وتجويدها، الأمر الذي أسعد أستاذه، فراح البسيوني يبشر ببزوغ بذرة شعر وموهبة عظيمة عند هذا الفتى_ أي أحمد شوقي _فأبلغ الخديو توفيق بنبوغه، فاستدعاه واطلع على أعماله , وهذا ما بيّنه محمد صبري في الشوقيات المجهولة، حيث يقول" :على أن البسيوني تحدث بهذا النبوغ إلى صاحب العرش، وأفهمه أن بين أثواب الصغير أحمد شوقي براءة نادرة، وذكاءً رائعًا، و أنه خليق برعايته العالية، فكانت هذه الشهادة من بين أكبر الأسباب التي حفزت الخديو سنه 1887 إلى إرسال شوقي على نفقته الخاصة لإتمام دراسته العالية في باريس

وتعد هذه المكرمة التي نالها شوقي نقطة تحول هامة في حياته، وفي أعماله الأدبية، كيف لا وقد حظي برضى الخديو، ليدخل القصر من أوسع أبوابة، لا لكون جديه داخل القصر هذه المرة، وإنما لعقليته الفذة، وشاعريته التي يبحث عنها الخديو.([2])

[1] صبري محمد، **الشوقيات المجهولة**، دار المسيرة, 1979,ج1, ص5

[2] صبري محمد، **الشوقيات المجهولة**، دار المسيرة, 1979,ج1, ص5

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

احمد شوقي والسياسة

ولد شوقي بباب الخديو إسماعيل، وفي ظله وحمايته، كون العلاقة التي تربط الخديو بجدته لأمه قوية، فجدته تحظى بمكانة هامة داخل القصر، فكثيرًا ما كانت تحاول وضع شوقي في جو القصور كما مر سابقًا " ,كانت علاقة أسرته بالبيت المالك أبا عن جد أهم عامل في تطوره، وإن كانت هذه العلاقة ألجمت شاعريته في بعض المجاملات, كما أن علاقته بالخديو توفيق كانت قوية، وكان لها بيّن الأثر في نفسيته. راح النّقاد ينقسمون بآرائهم حول علاقة شوقي بالقصر وأثرها في فنه، فمنهم من ذهب إلى أنه ظل رهين القصر والخديو، فقيّد فنه بقيود السلطان رياءً ومدحًا، ومنهم من يرى أنه لولا القصر ما كان فنه راقيًا،" وكان أهم ما يعجب عباسًا فيه مدائحه له في أعياد حكمه لمصر وفي كل مناسبة كبيرة تمر به، وأخذ شوقي يمر معه في كل أهوائه السياسية، فتارة يمدح له الخليفة العثماني الذي يبتغي رضاه، وتارة يلوم الإنجليز ويندد بهم حين يغاضبهم وينازعهم بعض السلطان ....ومن المحقق أن شوقي لم تكفل له حريته في هذه الحقبة، إذ كان مشدودًا بحكم وظيفته إلى القصر وصاحبه.([3]) ومهما يكن من أمر، فقد عمل شوقي في قصر الخديو عاما قبل أن يسافر إلى فرنسا لإكمال علومه على نفقه الخديو الذي وجد أن الفتى ابن العشرين، لا يجوز أن يلتحق بقصره قبل أن يستكمل أسباب الثقافة القانونية، بالإضافة إلى شهادة الترجمة التي يحملها , وعندما سافر شوقي إلى فرنسا، راح يطلع على الآداب الأوروبية، تأثر بها فضلا عن تأثره بالقانون والحقوق، علمًا بأنه لم يمارسهما بعد عودته إلى مصر، لكنه استطاع أن يمد قصائده السياسية بالفكر القانوني والسياسي لقضاياه القومية والوطنية ,يقول شوقي" :ثم طلبت العلم في أوروبا، فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم، وعلمت أني مسؤول عن تلك الهبة التي لا تحد ولا تنفد ....جعلت أبعث بقصائد المديح من أوروبا مملوءة من جديد المعاني وحديث الأساليب بقدر الإمكان([4]).

وفاة احمد شوقي

أصيب شوقي بتصلب في شرايينه بعد إسرافه في شربه الكحول التي أولع بها،" إن شرايينه أصيبت بالتصلب، واضطر سنة 1932 إلى ملازمة الفراش مدة أربعة أشهر بسبب مرض مفاجئ، أوهن عزيمته، وأضعف قواه, لعل هذا من المفارقات التي أخذت على حياة شوقي، إذ وصف بأنه رجل صالح، على خلق عظيم، صان أدبه وفنه عن الهجاء وقدح الآخرين، إلا أنه أولع بالخمرة والملذات والسهرات التي أودت بحياته،" إن حياة شوقي الخاصة، المترعة بالخمرة والسهر والإسراف في المأكل والملذات، قد أدت به إلى دفع حياته ثمنًا لذلك"، هذا وأسمى بيته (كرمة بن هاني) لشدّة ولعه بالخمرة, حيث انكب شوقي في آخر حياته على المطالعة والأدب، عندما لازم فراشه وبيته، وألّف الكثير من روائعه في هذه الفترة العصيبة من حياته (مجنون ليلى (و(قمبيز) (الست هدى) و(علي بك الكبير) و(البخيلة)، علّه يتناسى آلامه وأوجاعه، كما أكثر من رحلاته وطلعاته الترفيهية يرافقه فيها سكرتيره الخاص أحمد عبد الوهاب، إذ كان كظله لا يفارقه. في عام 1932 كان شوقي في زيارة خاصة لجريدة (الجهاد)، فأصابه سعال شديد، ما

اضطره للرجوع إلى بيته،" بينما كان في زيارة لجريدة الجهاد في إحدى الأمسيات وهو يسمر في نشوة وفرح _انتابه سعال شديد، عكر صفو مزاجه، فعاد إلى بيته، وآوى إلى فراشه لعله يخلد إلى الراحة ويستريح، وكان ذلك مساء الثالث عشر من تشرين الأول سنة

[3] ضيف، شوقي .**الأدب العربي المعاصر**، دار المعارف،مصر, ط5 ، ص37

[4] وادي، طه .**شعر شوقي الغنائي والمسرحي**، نقلا عن الطبعة الأولى مقدمة للديوان،ص185

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

1932، وبعد استراحة قصيرة عاد إليه السعال، مع ضيق شديد، وما لبث أن فارق الحياة الساعة الثانية في ليلة الرابع عشر من تشرين الأول.

لقد أوصى شوقي قبل مماته أن يُكتبَ على قبره بيتان من نظمه مأخوذان من قصيدة (نهج البردة) إنفاذا لوصيته، والبيتان هما:

يا أحمد الخير لي جاه بتسميتي وكيف لا يتسامى بالرسول سمي

إن جل ذنبي عن الغفران لي أمل في الله يجعلني في خير معتصم([5])

المبحث الثاني: رثاء الأعلام السياسيين عند احمد شوقي

مقدمة

لقد بلغت قصائده الرثائية ستين قصيدة، وهي كثيرة حقا، فاستطاع أن يضع خلالها أبياتًا فلسفية محكمة وشاملة مضيئة تبيّن حتمية الموت وحرارته وتفاهة الحياة وما يلاحقها من بؤس وسعادة. وقد أقر شوقي أنه أكثر من رثاء الراحلين لا أملا في جوازيهم، وماذا يملك الموتى بعد أن تركوا الدنيا ودفنوا في مقابرهم؟ ولكنه فعل ذلك ليجعل الميت أسوة للحيّ لما أبى الحاسدون أن شوقي الحيّ أسوتهم، وفي ذلك يقول:

يقولون: يرثي الراحلين، فويحهم

أملت عند الراحلين الجوازيا؟

أبوا حسدا أن أجعل الحيّ أسوة

لهم ، ومثالا قد يصادف حاذيا؟[6]

إننا نرى شوقيا يوجّه تعزيته إلى صديقه حامد بك خلوصي حين مات والده المرحوم الأمير مصطفى بك خلوصي، وكان من الضباط الكرام الذين مجدوا في قمع الثورة في الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية، وهو يصف الموت ككأس مترعة يحتسيها المرء فيخلع عذاره أو ينسى حياءه ووقاره، يدير الليل هذه الكأس على مائدة الحياة، فإذا أصاب الليل فتور وضعف قام النهار بإدارتها إذ إن القدر الإلهي هو الذي كلفهما بالقيام بهذه الوظيفة المعينة بالتناوب.

فلا فرق عند هذه الكأس بين الأعمار، ولا بين طوال الناس وقصارهم، ويذوق سلافها الكرام والمهملون، وذو الهوى، وأخو الوقار، ولا ينجو شاربها من ألمها وصداعها وسكرها، وتدار خمرها–حسب ما يراه شوقي– على الجماد والفلك المدار في السماء فيختل نظام العالم، وتدير هذه الكأس المميتة يد عسراء وهي الشمال التي لا يفلتها المرء، فإذا جرى يمينا، جرت يمينا وإذا تولى يسرة تولت يسرة لأنها تحيط به من كل جانب. فالكأس التي يرددها الشعراء عند ذكر الموت ما هي إلا تلك السكرة التي تخالط المحتضر بغير شراب

[5] العقاد، عباس محمود :**الديـوان**، ط4 مطابـع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1997م (ص 151)

[6] شوقي، أحمد: **الشوقيات**، مكتبة مصر، الفجالة (1993م)، (ج 3) ص 181

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

يرهقه ويذهب عقله ويطير تمييزه ويسلمه لأمر الله وقضائه"﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾". (سورة ق ، الآية 19)

يقول شوقي:

كأس من الدنيا تـدار من ذاقها خلع العذار

الليل قوّام بهـا فإذا ونى قام النهـار

وحبابها الأعمار لم تدم الطوال ولا القصار

شرب الصبي بها ولم يخل المعمر من خمـار

وحسا الكرام سلافها وتناول الهمل العقـار

وأصاب منها ذو الهوى ما قد أصاب أخو الوقار

ولقد تميل على الجمـا د وتصرع الفلك المدار

كأس المنية في يـد عسراء ما منها الفرار[7]

وفي القصيدة التي نظمها شوقي حوالي سنة 1897 يرثي بها والده الطيب الذكر علي بك شوقي3 يقول بأن للموت يدا قوية إن ضربت توشك أن تصدع شمل الفرقدين وهما نجمان في السماء لا يغربان فاليد التي تستطيع أن تفرق بين هذين النجمين هي التي أودت بحياة أبيه:

إن للموت يدا إن ضربت أوشكت تصدع شمل الفرقدين

وشبه الموت بطائر غريب نافذ الجناحين سريع لا تفلت النسور من أظفاره. والنسور من الجوارح الحادة البصر والقوية، يبطش بها الموت ويفتكها مجاهرة ولا ينجو ولد الطائر في الغصون من غوائله، ويغشى(لبدا) مع طول عمره وهو آخر نسور لقمان بن عاد، سماه بذلك لأنه لَبِدَ فبقي لا يذهب ولا يموت، يقول شوقي بأن الذي غال هذه النسور هو الذي غال عبده الحامولي الذي توفي سنة 1902 وكان نادرة الزمن في حسن الصوت وفي ابتكار الألحان وذلك في قوله:

غاله نافذ الجناحين مـاض لا تفر النسور من أظفاره

يطرق الفرخ في الغصون ويغشى (لبدا) في الطويل من أعماره

[7] شوقي، أحمد: **الشوقيات**، (ج 3) مكتبة مصر، الفجالة (1993م)، ص 181

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ويد الموت لا ترحم العقبان في الجوّ، والفرخ في الأيكة، والببغاء مع طول عمره، والليث مع اتخاذه العرين بين الجبلين، يقول:

تنفذ الجوّ على عقبانـه وتلاقي الليث بين الجبلين

وتحط الفرخ من أيكته وتنال الببغا في المئتـين

والموت هو الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن الهروب منها وهو أقرب من المرء إلى حبل الوريد:

يا قوم اجمعوا أحلامكم كل نفس في وريديها رداها[8]

وفي رثائه لعاطف بركات باشا أحد رجالات مصر المقدمين وأحد نوابغ جيله المعلمين الذي توفي سنة 1925م يصف شوقي الموت بأنه حكيم صامت هادئ يفضح الليالي ويكشف معايب الموتى فيها بعد ما حاولوا إخفاءها في حياتهم ويزيل القناع عن خنا الدنيا ومفاسدها، فإذا حضر النفوس فعلى الحياة ونعيمها ومتاعها السلام، يقول:

حكيم صامت فضح الليالي

ومزق عن خنا الدنيا القناعا

إذا حضر النفوس فلا نعيما

ترى حول الحياة ولا متاعا

وفي نونيته في رثاء نجل إمام اليمن الذي توفي غرقا وهو يحاول إنقاذ رفيق له من الغرق ينزع شوقي الرقة من قلب القضاء ويجرد الموت من الحكمة والعقل، وذلك لأنه وجد الصعوبة في تفسير موت من يحاول إنقاذ رفيقه من الموت يقول:

ولكن متى رق قلب القضاء ومن أين للموت عقل يزن ؟ [9]

فنرى أنه ليس للشاعر حكم راهن في إسناد الحكمة إلى الموت أو تجريده منها، فحالته النفسية هي التي تملي عليه ما يصدره من الحكم، فيرى الموت عديم العاطفة والشعور ولولا ذلك لما وجد من

آدم عليه السلام أحد يبكي فراق أحبابه:

هيهات! لو وجدت للموت عاطفة لم يبك من آدم أحبابه أحد

[8] شوقي، أحمد: **الشوقيات**، (ج 3) مكتبة مصر، الفجالة (1993م)، ص 181

[9] العلامة ابن منظـور :**لسان العرب**، المجلد السابع دار الحديث، القاهرة، 2003م،مادة (فرقد) ص 88

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ويعجب لمن يريد أن يجد سببا للمنايا ويحاول جاهدا أن يبحث في الأدواء والعلل ويشرحها ويعرف ما يؤدي إليها كأنه يشك في حتمية المنايا والآجال، وهي حقيقة لا تحتمل النزاع والشك، وهذه المنايا – كما يراها شوقي– صائدة النفوس، ومن بزاة صيدها داء السرطان وهو ورم خبيث في الجسم، ومنها الصداع. فيموت المرء بعد مرض عضال معجز أو صداع خفيف، وفي ذلك يقول:

عجبت لشارح سبب المنايا يسمي الداء والعلل الوجاعا

ولم تكن الحتوف محل شك ولا الآجال تحتمل النزاعا

ولكن صيّد ولها بـزاة ترى (السرطان) منها والصداعا

ويرى الأحياء يسعون ويتوالون كل يوم نحو نهايتهم المحتومة وهم كالإبل التي يسوقها الموت ويتغنى لها ليحثها على السير نحو المصير:

كل حيّ على المنية غادي تتوالى الركاب والموت حادي

وفي القصيدة اليائية التي تعتبر يتيمة عصماء في رثاء فقيد العلم والعاديات على بهجت، يريد شوقى أن يكشف له المعنى الخبىء للموت.14 ويناشد بسابقة الوداد إسماعيل باشا صبري أحد الشعراء الفحول السابقين الملقب بشيخ الشعراء والذي وصفه العقاد بأنه "الشاعر الناقد البصير بلطائف الكلام"15 والمتوفي سنة 1923م أن يبين له: أيكون الموت قاتلا أم شافيا حين ينزل بالفتى؟

ويريد من صديقه المرحوم حافظ إبراهيم الذي انتقل إلى رحمة ربه سنة 1932م أن يشرح له حقائق ما يرى بعد الموت لأنه أهل لذلك:

اشرح حقائق ما رأيت ولم تزل

أهلا لشرح حقائق الأشياء[10]

وهكذا يلقي شوقي أسئلة فلسفية على الأموات فأنّى لهم أن يجيبوا؟

أما الحياة فيراها شوقي في مراثيه بمنظار زاهد متبتل، فهي عذاب كلذة ولذة كعذاب،18 والدنيا – وإن قل لبثها– لا تنفك لسان ثواب أو لسان عذاب، وهي دار فرقة والآخرة دار لقاء، وآخر العهد بنعماها بلاء ، والمرء وإن شغفته دنياه هوى فإنه سيطلقها يوما طلاق (نوار) والعيش آمال تجدّ وتنقضي والموت أصدق والحياة غرور، والحياة حنظلة في حروفها شهد وأوهى الخيوط خيط عيش معلق بالوريد لأنه عبارة عن مضغة بين خفقة وسكون ودم بين جرية وجمود، والليالي قصار والدنيا ما هي إلا أحلام نائم[11].

وتأمل شوقي الأيام فرآها شباكا ملقيات حول الإنسان، ولو أن الجهات خلقن سبعا لكان الموت سابعة الجهات ولا يرى الفرق بين مهد المرء في أيدي الرواقي ونعشه بين النائحات، وأن حاملي جثمان حسين شيرين بك إلى قبره ساروا به من باطل الدنيا إلى بحبوحة الحق

[10] العلامة ابن منظـور :**لسان العرب**، المجلد السابع دار الحديث، القاهرة، 2003،مادة (فرقد)ص 88

[11] المرجع السابق,ص89

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المبين، وأن الله تعالى خلقنا للحياة وللممات وبينهما كل الحادثات التي نعانيها، والإنسان في أحلام في هذه الحياة، فإذا انتهى من أحلامه فسرت بذهابه من الحياة. ويخاطب شوقي الإنسان ناصحا:

إلى الحياة سكنت وهي مصارع وإلى الأمايى يسكن المسلول؟

لا تحفلن ببؤسها ونعيمها نعمى الحياة وبؤسها تضليل

ما بين نضرتها وبين ذبولها عمر الورود وإنه لقليل[12]

هذه الأبيات الصادقة والمؤثرة في القلب من قصيدته اللامية التي يرثي بها الطيارين العثمانيين فتحي ونوري اللذين قدما إلى مصر سنة 1913م يقودان طيارتهما، فسقطت بهما فماتا فكان لمصابهما في مصر أسف شديد 21 لا يرى شوقي الحياة فيها إلا مهالك الإنسان، فلا يسكن إليها كيلا يكون مثل المصاب بداء السلّ الذي يصارع الموت،ومع ذلك فإنه يملأ قلبه بالأماني التي يصعب تحقيقها، فلا يبالي ببؤس الحياة ونعيمها فإنهما تضليل لمن لا يدري كيف يعالجهما، وليعلمن أن عمر نضرة الحياة وذبولها قليل كعمر الورود.[13]

وفى قصيدته النونية في رثاء الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني المصري الذي توفي سنة 1908م، قارن شوقي بين دقات القلب ودقات الساعة،فإنه بيت القصيد في رأي عشاق أمير الشعراء، إذ هدانا به إلى واجب الضن بالحياة، ويتضمن الدعوة إلى الإسراع بالقيام بالواجبات المنوطة على عاتقنا قبل فوات الأوان وتوقف الدقات،يقول:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني [23]

هذا وقد تعرضت القصيدة برمتها لانتقاد شديد من العقاد، وعن هذا البيت بالذات يتساءل: "فلو قورن بين الساعة والقلب أيام كان يقاس الوقت بالساعات المائية أو الرملية، فهل يفهم لهذه المقارنة معنى؟ وهل لدقات القلب الخالدة علاقة حقيقية بدقات الدقائق والثواني يستنبط منها الإنسان سر الحياة؟ ".

ومهما يكن من أمر فإننا لا نختلف أبدا في أن للقلب نبضات تشبه دقات الساعة، وتتوقف نبضات القلب كما تتوقف الساعة، لهذا فإننا نرى علاقة حقيقية بين هذه الدقات.

وتعرض للانتقاد كذلك بيت شوقي القائل:

فاصبر على نعمى الحياة وبؤسها نعمى الحياة وبؤسها سيان[14]

[12] العقـاد، عباس محمود : **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة– القاهرة(1963) ص 30
[13] المرجع السابق,ص31

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وهو في هذا البيت ينصح الإنسان أن يستقبل نعمى الحياة وبؤسها بالصبر لأنهما مثلان في سعادة المرء وشقائه، فالصبر ضياء. فقد علق العقاد على هذا البيت قائلا: " والصبر على بؤس الحياة معروف أما الصبر على نعماها فماذا هو؟ ولكن ويحنا فقد نسينا أن المصائب والخيرات سيان.[15] "

الفصل الثالث

دراسة فنية لشعر أحمد شوقي

دراسة فنية لشعر أحمد شوقي

مقدمة

لكل شاعر أسلوبه في تناول الشعر الخاص به بالرغم من اجتماع هذه الخصائص مع بعضها في بعض الأمور إلا أنه هناك تميز لكل شاعر في شاعريته، من هنا سيتم دراسة خصائص شعر أحمد شوقي من خلال هذه الدراسة الفنية بالاطلاع على ديوانه الذي لا يمكن إيجازه بهذه الصفحات القليلة، لكن سيتم ذلك بشيء من الايجاز.

أولا: الصدق الفني:

الصدق الفني هو انفعال الأديب وإحساسه بما يقول وتأثُّره به لحظة الإبداع، ذلك أن ذاكرة الخيال في عقل الإنسان لا تبقي إلا المشاعر التي تحرّكه، أي الصور التي استقبلها بتفاعل عند عملية الإدراك، أما الصور التي لم يتأثّر بها لحظة إدراكها فتبقى – إذا بقيت في الذاكرة– خاملةً بعيدةً عن عملية الاسترجاع.

إذاً لا بدّ للأديب من انفعالٍ ما في لحظة تلقي الحدث، أما لحظة الإبداع فقد يعيش انفعالاً وثَمَّ الصدق الفني وقد يفتعِلُ افتعالاً بمزاولة المنطق والترتيبات العقلية أو بمحاولة التلفيق والتزوير.

ونحن لا نملك حق الاطلاع على ضمير الأديب لتقرير ما إذا كان صادق الشعور أو لا ، ولكن كما قال سيد قطب رحمه الله : " لا نعدم وسيلة لإدراك الصدق الفني في عمله من خلال تعبيره"[16].

وقد ضرب سيد قطب مثلاً من شعر شوقي:

قف بتلك القصور في اليمِّ غرقى مُمسِكاً بعضُها من الذُّعر بعضا

كعذارى أخفَين في الماء بضّاً سابحاتٍ به وأبدَين بضّا[17]

[15] العقاد، عباس محمود :**الديـوان**، الطبعة الرابعة مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة،(1417هـ – 1997م). ص 151

[16] سيد قطب: نقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار العربية، بيروت، ط4، 1966، ص31

[17] أحمد شوقي: الديوان، ص280

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

فكلّ بيت بمفرده يعرض صورة جميلة الرسم والإيقاع، ولكنهما مجتمعين يكشفان عن اضطراب في الشعور أو تزوير فيه.

ويظهر الصدق الفني من خلال حس الشاعر الديني من خلال قصيدة الحج، حيث إن هذه التجربة القدسية تدعو الشعراء أن يقفوا أمام مسؤوليتهم الأدبية ورسالتهم، فيعبروا بحق عما يجيش في نفوسهم من آراء سياسية وأفكار دينية عامرة منحتهم إياها المواقف المتعددة الألوان في هذه المناسبة الدينية السامية، فلبس الإحرام له معنى التجرد من زخارف الحياة، ومناسك الحج من طواف وسعي لها في كل منسك معانيه الدينية والإنسانية، والوقوف بعرفات متجردين متساوين على اختلاف عروقهم ولغاتهم وألوانهم بلباس واحد يغمره البياض الناصع كالحقيقة الواضحة.

ولغنى هذه التجربة الدينية المقدسة وخصوبتها نجد كثيرًا من الشعراء قد صوروا مشاعرهم فيها، ووصفوها لنا وصفًا دقيقًا وواقعيًا.. ونأخذ من الشعراء المحدثين الذين أبدعوا قصيدة الحج أمير الشعراء أحمد شوقي في رائعته التي يقول في مطلعها:

إلى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله في عرفات

ويوم تُوَلي وجهة البيت ناضرًا وسيم مجالي البشر والقسمات

على كل أفقٍ بالحجاز ملائك تزف تحايا الله والبركاتِ[18]

ثم يأخذ في وصف الكعبة الغراء، والميزاب، وزمزم في عاطفة قوية متأججة، ورمي الجمرات في صور متتابعة، وكأنها تجري حركتها أمامك هذه اللحظة:

وفي الكعبة الغراء ركن مرحب بكعبة قصادٍ وركن عفاة

وما سكبَ الميزاب ماءً وإنما أفاض عليك الأجر والرحمات

وزمزم تجري بين عينيك أعينًا من الكوثر المعسول منفجرات

ويرمون إبليس الرجيم فيصطلي وشانيك نيرانًا من الجمرات[19]

ويختلط الإحساس بجلال المكان المقدس بهموم عامة يشعر بها كل مسلم يعيش واقع أمته المتردي، وخاصة عندما يقف الحاج أمام قبر الرسول "صلى الله عليه وسلم" فتكون هذه المناجاة الرائعة:

إذا زرت يا مولاي قبر محمدٍ وقبلت مثوى الأعظم العطرات

وفاضت مع الدمع العيون مهابة لأحمد بين الستر والحجرات

وأشرق نور تحت كل ثنية وضاع أريج تحت كل حصاة

[18] أحمد شوقي: الديوان ، ص125–126

[19] الديوان، ص125–126

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

فقل لرسول الله يا خير مرسل أبثك ما تدري من الحسرات

شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيمانهم نوران ذكر وسنة فما بالهم في حالك الظلمات؟[20]

ثانياً: اللغة في شعر أحمد شوقي:

يعد شوقي أحد تلامذة البارودي ومن الذين تأثروا بمدرسته الشعرية المحافظة التي تميزت بجزالة الأسلوب وإحكام التراكيب فشعره خالٍ من الحشو والغرابة ومعظم قصائده امتازت بالصبغةالجمالية والروعة وقد كانت علامته الأولى الموسيقا فشعره امتاز بالموسيقا الرائعةكما امتاز شعره بسلامة اللغة وصحة الألفاظ ولعل ذلك يرجع لثقافته العربية الأصيلةوكذلك ثقافته الإسلامية ولحفظه القرآن الكريم .

وقد وصف الدكتور شوقي ضيف قصائد أحمد شوقي بأنها كالقصور المشيدة وقد برع شاعرنا في التصوير والخيال فخياله واسعخصب يقول الدكتور شرقي ضيف عن شاعرنا (وشعره من هذه الناحية متحف لصور وأشباح متحركة تفد إليك من كل جانب وكأنها تريد أن تأخذ عنك طرفك بأن تعلن إعجابك بصاحبها)[21] .

كان شوقي يعني أشد العناية بتوفير عناصر الجمال اللفظي لشعره ، ولعل احتفاله بالمعني كان لا يضاهي احتفاله باللفظ فالصنعة والديباجة ونسيج الكلام أمور مقدمة في قول الشعر لديه وقد يكون في أقصي ضميره يؤثر البيت الجيد اللفظ علي البيت الجيد المعني من شعر الشعراء القدامي الذين كان شديد الإعجاب بهم والتأثر بفرائضهم . لذلك نجد لغة الشعر لغة البيان الأول متانة وحسن سبك وجودة صياغته ، ومما لا شك فيه أن شوقي كان يتخير لفظه من المنتوج اللغوي القديم في عهوده المشرقة ويعمد إلي إعادة حياكته بمواضيع جديدة وخاصة منها الموضوع الوطني.

غير أن العودة إلى القديم واتخاذه أداة إنشاد وإبلاغ في مواضيع حديثه أحدث نوعا من الارتباك في اللغة الشعرية لدى أحمد شوقي لذلك ترى القصيدة الواحدة وقد عجت بلغة الصحاري والخيل والسيوف والرماح والأبقار الوحشية والغزلان وإلى جانبها لغة السياسة الجديدة من دستور وبرلمان وشعب واستقلال ووطن ومهرجان ومؤتمر وحزب ومستعمر وغيرها. يقول مستعملاً لغة قديمة:

الخيل حولك في الجلا ل العسجدية ينثنين

وعلي نجادك هالتا ن من القنا والدارعين

وَالجُندُ يَدفَعُ في رِكا بِكَ بِالمُلوكِ مُصَفَّدين

لَرَأَيتَ جيلاً غَيرَ جي لِكَ بِالجَبابِرِ لا يَدين

[20] أحمد شوقي: الديوان ، ص125-126
[21] شوقي ضيف: سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف، مصر، 1955، ص19

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وَرَأَيتَ مَحكومينَ قَد نَصَبوا وَرَدّوا الحاكِمين

روحُ الزَمانِ وَنَظمُهُ وَسَبيلُهُ في الآخَرين

إِنَّ الزَمانَ وَأَهلَهُ فَرَغا مِنَ الفَردِ اللَعين

فَإِذا رَأَيتَ مَشايِخاً أَو فِتيَةً لَكَ ساجِدين

لاقِ الزَمانَ تَجِدهُمو عَن رَكبِهِ مُتَخَلِّفين

هُم في الأَواخِرِ مَولِداً وَعُقولُهُم في الأَوَّلين[22]

ثالثاً: الأسلوب في شعر أحمد شوقي:

اختلف شوقي عن الشعراء من ابناء جيله حيث آثر العاطفة الهادئة الخاضعة لسيطرة الشاعر، والتعبير عن الانفعالات الجياشة، حيث اتضح ذلك جيدا في رثائه لكثير من الشخصيات، ومنها ما قاله في رثاء سعد باشا زغلول:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحني الشرق عليها فبكاها

ليتني في الركب لما أفلت "يوشع " ، همت ، فنادي ، فثناها

جَلَّل الصبحَ سواداً يومُها فكأنّ الأرض لم تخلع دجاها

انظروا تلقوا عليها شفقاً من جراحاتِ الضحايا ودِماها

وتروا بينَ يديها عبرة من شهيدٍ يقطرُ الورد شذاها

آذنَ الحقُّ ضَحاياها بها وَيْحَهُ!! حتى إلى الموتى نَعاها

كفّنوها حُرَّة عُلْوِيّة كستِ الموتَ جلالاً، وكساها

مِصْرُ في أَكفانها إلا الهدى لحمة الأكفانِ حقٌّ وسداها

خطر النعشُ على الأَرض بها يَحْسِرُ الأَبصارَ في النعش سَناها

جاءها الحقُّ، ومنْ عادتها تؤثر الحقَّ سبيلاً واتَّجاها

ما دَرتْ مصرٌ: بدفن صُبِّحَتْ أَم على البعثِ أَفاقَتْ مِنْ كَراها؟[23]

[22] أحمد شوقي: الديوان ، ص306

[23] أحمد شوقي: الديوان ، ص779–780

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ان الذي أكسب الصورة روعتها، ومنحها هيبتها تلك العلاقات التي تآلفت من كلمات البيت والتلاؤم الموسيقي بين " شيعوا " و " مالوا " وبين " أنحني الشرق عليها " ثم بين " ضخاها " و" بكاها " ، ثم انتشار حروف المد علي طول البيت بإيقاع متناغم ، هذا التلاؤم لا ينصرف تأثيره إلي مدي تفاعل هده الأصوات ، بل بالإحساس العام الذي ينتهي إليه البيت، وبالموجة الهادئة التي تخطوا خطوات حزينة وفي نغم موقع.

فإذا انتقلنا إلي البيت التالي ، وجدنا شوقي يستعين في إشاعة الحزن بمهارات أخرى، فاستعاد موقف النبي " يوشع " الذي طلب من ربه أن يؤخر له مغرب الشمس فاستجاب له ربه ، فليت شوقي كان في موقف يوشع، حين همت الشمس بالغروب ، فنادي ربه فاستجاب له، فثناها عن الغروب، استطاع شوقي باستعارة موقف يوشع أن يعبر عن حسرته لاغترابه وحرمانه من تشييع جنازة سعد ومن جزعه لفراقه. ومن إدراكه للخسارة التي تكبدها الشرق كله بموت سعد، والتي كانت تحتاج إلي معجزة تؤخر حدوثها.

فقد منحنا الإحساس أمام حدث جلل يوشك أن يقع ، ولا بد من تفاديه بأي ثمن ... ولعلنا بهذا الشاهد نكون قد أوضحنا ما عنيناه من قبل حين قلنا، أن عاطفة شوقي ليست مدفوعة بغلبة الانفعال الصاخب أو الحاد ، ولكنها العاطفة التي يحكمها عقل الفنان الخالق وأرادته الفنية حين يسيطران على التجربة، ويخضعان لسلطانهما.

ولا تظهر هذه العاطفة الهادئة الرصينة في ما نظم شوقي عن الوطن وعلاقته الخاصة به وإنما تتبدي لنا أيضاً في ما قاله في كبار الحوادث وجليل الوقائق مثل كبار الحوادث في وادي النيل " أو نكبة دمشق " حيث يقول:

لحاها الله أنباء توالت — علي سمع الولي بما يشق

تكاد لوعة الأحداث فيها — تخال من الخرافة وهي صدق

وقيل معالم التاريخ دكت — وقيل أصابها تلف وحرق

ألست دمشق للإسلام ظئراً — ومرضعة الأبوة لا تعق

وللأوطان في دم كل حر — يد سلفت ودين مستحق

وللحرية الحمراء باب — بكل يد مضرجة يدق[24]

عندما تقرأ هذه الأبيات تجد الشاعر يعرض لك الواقعة بأسلوب إخباري عرضاً هادئاً غير مشبوب ويفحصها فحصاً عاقلاً لكنه لا يخلو من مشاعر الحزن ولا يعدم قولاً حكيماً أيضاً ، جاء هكذا كله في لغة مباشرة لا غموض فيها ولا التواء وحتى إن بدت بعض العبارات قليلة الخصب الذهني والعمق العقلي.

[24] أحمد شوقي: الديوان، ص453–454

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

إن حديثنا عن رصانة شوقي الشعرية وميله إلي النقل الهادئ للأحداث والنقد الرزين للمستعمر وأذياله والنصح الرشيد لأبناء الوطن بلغة شعرية طغي عليها الإبلاغ فإنه لا يعدم شعراً حماسياً جاء في أساليب إنشائية نمت عن ثورة في النفس أو غضب يمور به صدره فجاءت صوره البيانية جلية ناصعة وافرة الخصب والرواء.

رابعاً: الموسيقى في شعر أحمد شوقي:

ما يفتتي بشعر شوقي هو هذه الموسيقى الساحرة التي تتناسب مع جلال الموقف وروعة المشهد، هذه النجوى التي يطلقها ويناجي بها ربه معترفًا بتقصيره وطامعًا بعفوه ومغفرته:

ويا رب هل تغني عن العبد حجة وفي العمر ما فيه من الهفوات؟

وأنت ولي العفو فامح بناصع من الصفح ما سودت من صفحاتي[25]

يجمل الدكتور شوقي ضيف وصف هذه القدرة المتميزة عند شوقي ، بقوله " ... ولا أبالغ إذا قولت أنني لا أستمع إلى قصيدة طويلة لشوقي حتي أخال كأنني استمع حقاً إلي " سيمفونية " فموسيقاه تتضخم في أذني واشعر أنها تتضاعف، وكأن مجاميع من مهرة العازفين يشتركون في إخراجها، وفي إيقاع نغماتها، ولا أرتاب في أن ذلك يرجع إلي ضبطه البارع لآلات ألفاظه ، وذبذباتها الصوتية، وليست المسألة مسألة حذق أو مهارة فحسب، بل هي أبعد من ذلك غوراً، هي نبوغ وإلهام، وإحساس عبقري بالبناء الصوتي للشعر، وهذه الروعة في الموسيقي تقترن بحلاوة وعذوبة لا تعرف في عصرنا لغير شوقي وربما كانت تلك آيته الكبري في صناعته، فأنت مهما اختلفت معه في تقدير شعره، لا تسمعه حتي ترهف له أذنك، وحتي تشعر كأنما يحدث فيها ثقوباً، هي ثقوب الصوت الصافي الذي تهدر به المياه بين الصخور، والصوت يعلو تارة فيشبه زئير البحار حتي تهيج ، وينخفض تارة فيشبه قطرات الفضة التي تسقط من مجاديف الزوارق ، وهي تجري سابحة على صفحة النيل[26]. "

ولنأخذ مثالاً على ذلك قصيدة " النيل " التي نظمها سنة 1914م ، يقول فيها:

من أي عهد في القرى تتدفق وبأي كف في المدائن تغدق

ومن السماء نزلت أم فجرت من عليا الجنان جداولاً تترقرق[27]

وإذا استرسلنا مع بقية القصيدة استخرجنا المزيد من الدرجات الموسيقية، المتراوحة بين السرعة حين يكون الحديث عن التدفق والانفجار والانسكاب وبين الهدوء والتدرج حين يكون عن أثار النيل فيما حوله من قري وحقول وحياض وبرود مختلف ألوانها.

خامساً: الصور الفنية في شعر أحمد شوقي:

[25] أحمد شوقي: الديوان ، ص125–126
[26] شوقي ضيف: ص60–62
[27] أحمد شوقي: الديوان ، ص441

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ان تدفق الصور الفنية وانبثاقها من بؤرة واحدة تنطلق جميعاً هنا وهناك، ولكنها ترتبط بصلة وثقي بالمنبع ، وتدور حول فلك الأصل الواحد ولنأخذ مثلاً لذلك قصيدة " الهلال " التي نظمها في عيد ميلاده الثلاثين ، يقول فيها:

سنون تعاد ودهر يعيد لعمره ما في الليالي جديد

أضاء لآدم هذا الهلال فكيف تقول الهلال الوليد

نعد عليه الزمان القريب ويحصي علينا الزمان البعيد

علي صفحتيه حديث القري وأيام عاد ودنيا ثمود

وطيبة أهله بالملوك وطيبة مقفرة بالصعيد

يزول ببعض سناه الصفا ويفني ببعض سناه الحديد

ومن عجب وهو جد الليالي يبيد الليالي فيما يبيد

يقولون يا عام قد عدلت لي فيا ليت شعري بماذا تعود ؟

لقد كنت لي أمس ما لم أرد فهل أنت لي اليوم ما لا أريد

ومن صابر الدهر صبري له شكي في الثلاثين شكوي لبيد

ظمئت ومثلي بري أحق كأني " حسين " ودهري " يزيد"

تغابيت حتي صحبت الجهول وداريت حتي صحبت الحسود[28]

نظم شوقي هذه القصيدة في مناسبة عيد ميلاده الثلاثين ، لقد انصرم عام أخر من عمره، ومن ثم كان من الطبيعي أن يلقي بنظره إلى الوراء ، ليري حصيلة هذا العام ، بل ومقدار ما أنجزه في الثلاثين التي مضت ، إنه ليشعر بان تلك السنون الخالية كانت جميعاً من نمط واحد، فإحساسه بأن حياته مرت كلها علي وتيرة واحدة يدفعه إلي إسقاط هذه الرتابة علي الزمن ذاته.

" سنون تعاد ودهر يعيد " هذه هي القضية العامة الذي يستهل بها الشاعر قصيدته ولفظة " تعاد " تعني أن الدهر يرجع السنين لنا كما هي ، أو يجعلها تؤوب إلينا كما رحلت عنا ، وهي تعني كذلك أن الدهر " يكرر " هذه السنين ، وغني عن الذكر ما في المدلولين – وكلاهما مقصود – من صفة الرتابة والآلية ، السنون تعود وتعاد ، ولا شئ جديد.

إن ظهور الهلال في عيد ميلاد الشاعر كان تبعاً لتدفق صور لا تنتهي ولو أراد أن يتعقبها لما توقف عند البيت الثاني عشر ، لأن الدائرة التي رسمها كانت غنية بالعطاء.

[28] أحمد شوقي: الديوان ، ص416

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

فشوقي كثيراً ما يجنح إلى استقصاء الصور الجزئية المرتبطة بالصورة العامة لموضوعة وقد يصل بها الشكل النهائي إلي شكل دائري أو غير دائري ، ولكنه مسبوك سبكاً ، ومتصل اتصالاً ، من كلا طرفيه.

التشبيه:

التشبيه عملية تتمثل في وضع دالين متميزين يقابلهما مدلولان يظهران تماثلاً بينهما مع إيراد لفظة دالة على تشابه الحقيقتين المذكورتين، إنه صورة تقوم على تمثيل شئ محسوس أو مجرد بشئ أخر حسي أو مجرد لأشتراكهما في صفة واحدة أو أكثر ، حسية أو مجردة ، الغاية منها تقريب المعني من الأذان أو إخراجه من حال الغموض إلي حال الوضوح لغاية إمتاع النفس أو إقناع العقل بواسطة التحسين والتقبيح[29] .

وقد اعتمد أحمد شوقي في شعره التشبيه لعدة أغراض من أهمها تأكيد حبه لوطنه والإقناع بهذا الحب ليغري به غيره ويحفزه عليه، ولذلك تراه يشبه الوطن بالأمل وعهد الشبيبة تارة ويشبه بالعقيدة الدينية تارة أخرى وبالكعبة المشرفة تارة ثالثة وبالجنة طوراً رابعاً وبالثمار الذكية طوراً خامساً، يقول في قصيدته بعد عودته من منفاه:

ويا وطني لقيتك بعد يأس كأن قد لقيت بك الشبابا

ولو أني دعيت لكنت ديني عليه أقابل الحتم المجابا

أدير إليك قبل البيت وجهي إذا فهت الشهادة والمتابا[30]

لقد جاء طرفا المعادلة في هذا التشبيه شبه ماديين، (لقاء الوطن / لقاء الشباب) إلا أن طبيعة المشبه به وما تنطوي عليه من رقة وشفافية وغناء قد سمت به عن التقرير والتعادل ، فالشباب أمل وطموح وفتوة وتخط للصعاب توسل به الشاعر لتقريب ما انفرد به واختص به وحده من عشق الوطن وفرحة بالعودة. غير أن الشاعر بعد تشبيهه فرحة العودة إلي الوطن بفرحة الشيخ برجعة الشباب إليه ، بلغت به غلواؤه إلي مجاوزة التوقير الديني فوحد بين العقيدة والوطن إذ جعل من مصر ديناً يلقي عليه ربه في اليوم الأخر لو أنه قضي نحبه وهو في المنفي

الاستعارة:

تعد الاستعارة ركناً رئيسياً في تكوين الشعر وخلق الصور، وهي عند بعضهم الأصل في تطور اللغة لأنها هي الأساس في استخدام الكلمات استخداماً جديداً. فالإنسان عامة والشعر خاصة يضطر للتعبير عن حاجته أو رؤيته الجمالية إلي استخدام نفس الكلمات في سياقات جديدة علي سبيل الاستعارة فيصوغ الواقع صوغاً جديداً.

ونجد نحن في أشعار شوقي الوطنية خاصة ألواناً من الاستعارة تخيرنا منها قصيدة ألقاها 1897

[29] شوقي ضيف: سلسلة فنون الأدب العربي، ص45

[30] الديوان، ص92

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

دار من أحببت أيتها أنها تصغي بلا أذن

وفؤادي لا رشاد له طالب اللذات ليس يني

أو هنته الحادثات هوي وهو خفاق علي الوهن

كل ركن كل زاوية هيكل يهفو علي وثن

خلع الأسرار كاهنه وبغير الحسن لم يدن[31]

تشكل هذه الأبيات استعارة كبيرة حل فيها شوقي الوطن محل الحبيبة ، وصاغها وفق مثال سابق في الشعر العربي تمتزج فيه ذكري الديار بذكري العهود امتزاج الروح بالبدن . وآلف بين المعني الغزلي ومعجمه ومعني الوطن : (من أحببت ، فؤادي فاقد الرشد ، طالب اللذات ، واهن من المصائب والهوي ، خفاق أبداً رغم وهنه.

ثم ما هية الشاعر بين صورة المعبود وصورة الوطن منتقلاً إلي معجم جديد تتعانق فيه المعاني (الهيكل – الوثن – الأسرار – الكاهن) . أنها تراتيب ناسك في معبد محبوبه مقدسة هي " مصر " هي رمز المحبة والحسن والحياة ، تتناغم في وصفها المعاني الغزلية بالمعاني الدينية لتؤدي المعني الوطني ، هي إذاً أقانيم ثلاثة تتداخل الحب والجمال والألوهية.

إن الاستعارة التي ابتدعها شوقي بهذا التمازج واسع الأطراف ما يلبث أن يكشف عنها في أخر بيت في القصيدة إذ ينزع الإنسانية بكل أبعادها عمن لا وطن له.

لقد حاولت من خلال اطلاعي على ديوان الشوقيات لأحمد شوقي والذي يقع في أربعة أجزاء يشتمل على منظوماته الشعرية في القرن الثامن عشر، وفي مقدمته سيرة لحياة الشاعر وهذه القصائد التي احتواها الديوان تشتمل على المديح والرثاء والأناشيد والحكايات والوطنية والدين والحكمة والتعليم والسياسة والمسرح والوصف والمدح والاجتماع وأغراض عامة، بأن أدرس ولو الجزء القليل من الخصائص الفنية لشعره، فهو شاعر غني بالكثير من الخصائص الشعرية التي لا يمكن ايجازها في هذا البحث كما ذكرت سابقاً فشعره غني جدا.

لقد كان الشاعر يملك نصيباً كبيراً من الثقافتين العربية والغربية، كما أفادته سفراته إلى مدن الشرق والغرب، ويتميز أسلوبه بالاعتناء بالإطار وبعض الصور وأفكاره التي يتناولها ويستوحيها من الأحداث السياسية والاجتماعية، وأهم ما جاء في المراثي وعرف عنه المغالاة في تصوير الفواجع مع قلة عاطفة وقلة حزن، كما عرف أسلوبه بتقليد الشعراء القدامى من العرب وخصوصاً في الغزل، كما ضمن مواضيعه الفخر والخمرة والوصف، وهو يملك خيالاً خصباً وروعة ابتكار ودقة في الطرح وبلاغة في الإيجاز وقوة إحساس وصدقا في العاطفة وعمقا في المشاعر.

[31] أحمد شوقي: الديوان ، ص136

العدد الواحد والثلاثون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2021 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وكان ذا حس لغوي مرهف وفطرة موسيقية بارعة في اختيار الألفاظ التي تتألف مع بعضها لتحدث النغم الذي يثير الطرب ويجذب الأسماع، فجاء شعره لحنًا صافيًا ونغمًا رائعًا لم تعرفه العربية إلا لقلة قليلة من فحول الشعراء.

فقد كان شوقي مثقفًا ثقافة متنوعة الجوانب، فقد انكب على قراءة الشعر العربي في عصور ازدهاره، وصحب كبار شعرائه، وأدام النظر في مطالعة كتب اللغة والأدب، وكان ذا حافظة لاقطة لا تجد عناء في استظهار ما تقرأ؛ حتى قيل بأنه كان يحفظ أبوابًا كاملة من بعض المعاجم، وكان مغرمًا بالتاريخ يشهد على ذلك قصائده التي لا تخلو من إشارات تاريخية لا يعرفها إلا المتعمقون في دراسة التاريخ، وتدل رائعته الكبرى "كبار الحوادث في وادي النيل" التي نظمها وهو في شرخ الشباب على بصره بالتاريخ قديمه وحديثه.

المراجع:

احمد , محفوظ(1994) حياة شوقي، دار الكتب المصرية، القاهرة
بودولاموت، أنطون (2006): الإلهام وفن الشعر عند أمير الشعراء أحمد شوقي وجهة نظر فرنسية، ترجمة محمود المقداد، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت.
سيد قطب(1966) نقد الأدبي أصوله ومناهجه، الطبعة الرابعة, دار العربية، بيروت،
شوقي ضيف(1995) سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف، مصر.
شوقي, ضيف(1988) فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر،
صبري محمد(1979) الشوقيات المجهولة، الجزء الاول, دار المسيرة,
ضيف، شوقي .الأدب العربي المعاصر، الطبعة الخامسة, دار المعارف، مصر
عطعوط، أصيل عبد الوهاب يوسف (2010) : أحمد شوقي دراسة في أعماله الروائية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
العقاد، عباس محمود (1997) الديوان، الطبعة الرابعة مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة.
العلامة ابن منظور (2003) لسان العرب، المجلد السابع دار الحديث، القاهرة،مادة (فرقد)
وادي، طه(1975) شعر شوقي الغنائي والمسرحي، نقلا عن الطبعة الأولى مقدمة للديوان

Abstract:

The Prince of Poets, who is the poet Ahmed Shawky, who is considered one of the pillars of Arabic poetry throughout the ages, and the lament of Arabic poetry is a subject that deserves to be studied because of its sincerity and special feelings. With his poetry, the importance of this study stems in that it deals with one of the most important images in Shawqi's poetry, and this research aims to identify the lament in Shawqi's poetry, media lament, artistic honesty, media lament in addition to Ahmad Shawqi's poetry topics and a summary of his life, and the researcher followed the descriptive approach. Analytical. Technical honesty appeared through the poet's religious sense in the poem of Hajj, as this sacred experience invites the poet to stand before a literary responsibility and a message that he expresses. As for the language in Ahmed Shawki's poetry, it has been described as like constructed palaces. Our poet excelled in photography and a broad imagination. Ahmed Shawqi differed from the poets of the sons of Guelleh in that he preferred the calm emotion subject to the control of the poet and the expression of strong emotions. As for the simile in Ahmed Shawki's poetry, he adopted it for several purposes, the most important of which is his love for his country and persuasion of this love to seduce others, and he adopted the metaphor as a basic pillar in creating images.